هل لاحظتم يوماً من هم الذين يتعرضون للحوادث الأليمة؟

غالباً ما نبني أمنياتنا على الحظ، نترقبه في أعمدة الصحف والمجلات عند زاويّة «اعرف حظك» من الأبراج... نراه في منازل عديدة، كذلك على رفوف بعض المحال والمتاجر، أو حتى في مواقع الانترنت، على شكل طلاسم ومقتنيات Lucky Charms (أو Porte Bonheur)، ونبني بموجبه قصوراً من أحلام مع كل ورقة يانصيب نختارها.. فهل من سبيل لنكسب الحظ حليفاً على مدى حياتنا؟!

يعتقد البعض أن حظّه جيد، فيما البعض الآخر يظنّ العكس، وكثيراً ما تتقلّب الآراء بحكم الظروف، ولكن كيف تُوزّع «حصص الحظ» على بني البشر، وعلى أي أساس؟ هل الحظ واقع أم حاجة نفسية أشبه بالوهم؟ وهل هو قوّة غريبة ترتبط مثلاً بمواقع الكواكب والنجوم، فتتلاعب بأحداث حياتنا وتتحكّم بها بمزاجية؟ وما هو بالتالي دور الطموح والمجهود الفردي والمثابرة؟!...

لفت نظري رأي العالم الكيميائي الفرنسي لويس باستور في كتاب "The Life of Pasteur" للكاتب René Vallery-Radot من خلال طرحه السؤال التالي: «هل لاحظتم يوماً من هم الذين يتعرضون للحوادث الأليمة؟» ثم أستطرد «إن الحظ يفضّل أصحاب العقول المستعدة» (Chance favors the prepared mind) ما يعني أن ما نسميّه الحظ الجيد برأي العالم لويس باستور، يرتبط بالجهوزيّة الفكرية. فكيف نفهم ذلك؟

إلى جانب ما تقدّم لفتتني أقوال أخرى عن الحظ، أهمها ما يعود للكاتب اللبناني الكبير ميخائيل نعيمة «الصدفة والحظ لكسالى العقول»، فيما علوم الايزوتيريك (أو علم الوعي الإنساني) توضح أن الصدفة والحظ يعبّران عن الاعتباطية في نظام الحياة، في حين أن النظام هذا يعبّر عن منتهى الدقة، «فالمصادفة لا وجود لها في قانون الحياة... ولا الحظ... ولا حتى الموهبة... فكل ما نلقاه من لذة وسعادة... ومن بؤس وشقاء... هو نتيجة سبب ومسبِّب، يستقر في أغوار كل منا! فكل شيء قائم على نظام أدق من أن تتسرب الشعرة إليه...» هذا ما جاء في كتاب الايزوتيريك الخامس

بقلم: المهندس شربل معوّض
www.esoteric-lebanon.org
chmmouawad@hotmail.com

الحظ.. واقع أم وهم؟

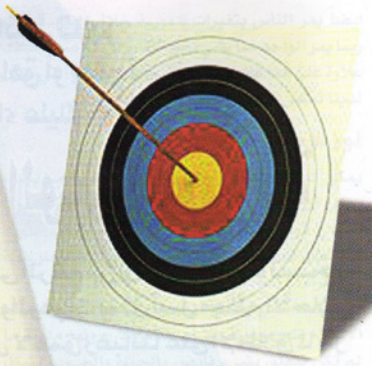

والعشرين بعنوان «مذكرات انسان» بقلم ج.ب.م.

المعرفة لا تطرق بابك

في مسألة جهويّة الفكر، تشرح علوم الايزوتيريك، «أن المعرفة لا تطرق باب المدارك إن لم يسعَ المرء بنفسه إليها، والفكر هو وسيلة السعي»، كما توضح هذه العلوم أن النضج الفكري المضمّخ بمشاعر الرقّة هو العمود الفقري لتوازن النفس التي لا تعود تستسلم للحظ، أو تقع في متاهاته... كما يوضح الايزوتيريك أيضا أن مثل هذا التوازن النفسي القائم على القوّة الفكرية هو تقنية حياتية يمكن لأي فرد أن يحققها في حياته... وهذه تعرف بالتماهي أو التماثل (simulation)، أي تخيُّل موقف صعب أو مشكلة عويصة ومحاولة حلّها فكرياً.

فالتدريب على التماهي يساعد المرء على تخطي التجارب والمواقف الحياتيّة نظرياً، قبل خوضها عملياً على أرض الواقع. وكلما توسّع المرء من خلال عملية التماهي في تحليل كافة الاحتمالات التي قد تحدث، ثم تعمّق في التمييز بين المواقف المشابهة، كان وقع الأحداث خفيفاً نسبياً عليه، فتهون عملية احتواء التجربة والتفاعل معها بدل الانفعال حيالها. تماماً كحال التلميذ المجتهد الذي يعالج المسائل الأكثر صعوبة خلال فترة الدراسة، وعندما يحين الامتحان يجده يسيراً... فلا يكون بذلك الأوفر حظاً، بل الأكثر مثابرة وجهداً بين زملائه.

إزالة السلبيات عن النفس

من التقنيات المهمة الأخرى، العمل على إزالة السلبيات من النفس وإدخال الايجابيات مكانها. لعلّ أهم هذه السلبيات يمكن اختصارها في ثلاثيّة «خوف - خجل - تردد»، بحيث أن إزالتها تعني تقويّة عنصر المواجهة في النفس كشرط أساسي لنقل النجاح في التجارب من حالة فكريّة نظرية إلى حيّز الواقع تطبيقاً عمليّاً. أضف إلى أن الفكر المنظّم والمنفتح كفيل بتحسين حياة المرء من خلال تحقيق الراحة والاستقرار للارتقاء في العمل وحلّ المشاكل وتنظيم المتوجبات اليوميّة إلخ...

فجميعنا نتمنى ونحلم بالراحة والاستقرار والنجاح، ولكن عندما نضع هيكلية فكرية لأحلامنا يستحيل الحلم طموحاً، وعندما نضع مدة زمنيّة محددة لتحقيق ما نطمح إليه يصبح الطموح خطة عمل ننقلها إلى حيّز التطبيق العملي، فتتحوّل أحلامنا إلى أهداف واقعية ممكنة.. على هذا المستوى لا يعود مهماً أن ننجح أو نفشل بل ما نحصده من وعي وخبرة ونضج ونحن نتحمل مسؤولياتنا الحياتية المختلفة... وفي خضم ذلك تبقى المثابرة كفيلة بتحسين «حظنا» إلى أن نستدرك أن «الحظ» كما لا يفهمه السواد الأعظم من البشر، هو حليف من يرتفع فوق العقبات ويجتهد ويكافح في الحياة، بهدف تحسين نفسه والارتقاء بوعيه الفردي.

الحظ والمنطق السامي

إن فكرة الحظ تتنافى والمنطق السامي للأمور، فمعاذ أن يعرف نظام الحياة العشوائية، وحاشى للعدل الالهي أن يكون ظالماً. ففي النظام هناك نتيجة ينطوي وراءها سبب، او «سبب ومسبّب» كما تشرح علوم الايزوتيريك في ضوء مفهوم قانون الفعل وردة الفعل الذي يجيب عن كل تساؤل ويجلي كل غموض في هذا السياق. هذا القانون هو بإيجاز قانون السبب والنتيجة، قانون الثواب والعقاب ما يعني أن أعمال الإنسان هي السبب في ما يصيبه من خير أو شر، من سعادة أو شقاء، من صحة أو مرض، وحتى من حظ أو لاحظ!

لا وجود للحظ في القاموس

لا يبدو أن للحظ وجوداً في قاموس الحياة وقانونها. فحتى علوم الرياضيّات وبالتحديد فرعَيْ الإحتمال والإحصاء (Statistics و Probability)، تبرهن لنا بالمعادلات العلميّة الحسابيّة، أن نتيجة أحجار النرْد لا تعرف الحظ! فعلوم الرياضيات تشرح بأننا حين نرمي حجرَيْ نرْد أو أكثر، لعدّة مرّات، تتبع نتيجة الأرقام التي نحصل عليها في كلّ رميّة معادلة أو نمطاً معيناً يُعرف بمنحنى غوشن (Gaussian Curve)... بالتالي حتى نتيجة أحجار النرد ليست عشوائيّة كما يسود الاعتقاد..

حول حياتك إلى رحلة ممتعة

كلّ شيء في الطبيعة يسير بحسب نظام لا يعرف الفوضى، بدءاً بحركة الشمس والكواكب، وصولاً إلى الفصول الأربعة، ومروراً بنبض الحياة في الكيان الإنساني، فلا بد إذاً لأحداث حياتنا أن تتتالى بموجب نظام التطور في الوجود ولهدف معيّن يخص كل فرد، كما يخص البشرية ككل.. والمفتاح إلى ذلك هو الصدق مع النفس في مواجهة الحقائق في تفاصيل حياتنا اليومية... ففهم هذه المعادلة كفيل بتحويل الحياة إلى رحلة ممتعة من البحث والاكتشاف، وإن تخللها التحدي الذي لا بدّ منه لشحذ الطموح، وترسيخه في النفس..

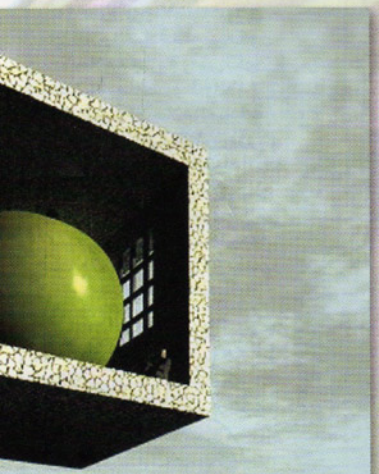

الايزوتيريك ليس معرفة الذات فحسب، بل تطبيق معرفة الذات عملياً في الحياة!

«إن معرفة الذات هي أمّ كل معرفة!» عبارة قالها الأقدمون. وبعدها كانت انطلاقة الفكر الفلسفي اليوناني. فمعرفة الذات هي الهدف الأول من علم الايزوتيريك ، لكنه ليس الهدف الأخير. لأن معرفة الذات تعتبر اكتمال وعي الإنسان، أو وصوله إلى العرش الإنساني. يليها مرحلة أخرى أرقى حكمة ومعرفة وتطوراً.. وهذا ما سترتقي إليه روح الإنسان الذي انطلق من معرفة الذات، إلى تطبيق هذه المعرفة، ومن ثم تجاوزها إلى معرفة الكون.

فمعرفة الإنسان لنفسه أمر واجب، إذ أن الإنسان هو المحور والمنطلق. لكن معرفة الكون كذلك أمر ضروري، لأن الإنسان نفسه هو جزء من هذا الكون! والشيء المهم والملفت للنظر هو أن معرفة الكون سوف تنطلق من معرفة الذات.. فالذات الإنسانية هي المحور، وهي أساس كل شيء!

معرفة الإنسان لذاته هي ذلك الحلم الذي لطالما راود الفلاسفة والعلماء، والذي سعى إليه العظماء والأعيان.. واعتقد الجسم الطبي يوماً أنه وصل إليه! لكن الواقع يؤكد أن ما من أحد استطاع الوصول إلى معرفة الإنسان سوى من امتلك درب الوعي والتطور! علماً أن معرفة الذات في مفهوم الايزوتيريك ، تشمل التطبيق العملي لهذه المعرفة.

ما نقصده بكلمة «الذات» هو ذلك الجزء الإلهي السامي في الإنسان، ذلك الجزء الخفي الذي تتجاهل أو تجهل العامة وجوده.. أنه المسيّر الحقيقي للكائن البشري، بل هو الإنسان الحق.